SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.23 NO. 1 2024
DOI: 10.51984/JOHS.V23I1.2727

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences
Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

بعضُ أغراض الشعر العباسيّ عند بشَّاربن برد و أبي تمَّام: (دراسة موازنة)

*نرجس عبد الغفار بازهير

قسم العلوم والدراسات الأساسية، الكلية التطبيقية، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

الملخص

هدفَ البحث في **القسم النَّظريّ** إلى الحديث عن الأغراض الشِّعريَّة في العصر العباسيّ الأوَّل بشكل عامّ، وعُني في **القسم التَّطبيقيّ** بدراسة بعض الأغراض الشِّعريَّة في شعر **(بشاربن برد و أبي تمام)** بشكل خاصّ من خلال الموازنة بينهما؛ ولا سيَّما بأنّهما يعدّان من كبار شعراء العصر العباسيّ الأوَّل، وكلاهما ينتميان إلى مدرسة شعريَّة تختلف عن الآخر، فالشَّاعر (**بشَّاربن برد 96-168هـ**) يُعتبر من أوائل الشُّعراء المحدثين أو المولّدين في الشِّعر العباسيّ، فتراوح شعره بين التَّقليد والتَّجديد، فكان مقلدًا في المدح، ومجدِّدًا في الهجاء، والفخر والغزل، أمَّا الشَّاعر (**أبو تمَّام 180-228هـ**) فكان من شعراء الطَّبقة الثَّالثة من المحدثين، ومع ذلك نجده قد كان مقلِّدًا في بعض أغراضه، ومجدِّدًا في بعضها الآخر. حتَّى سُمي بشاعر الصنعة؛ وذلك لإسرافه في استعمال المحسِّنات البديعيَّة، والمعاني المبتكرة. وقد اعتمد البحث على المنهج التَّحليليّ الوصفيّ، مع الاستعانة بالمنهج التَّاريخيّ. فالمنهج التَّحليليّ الوصفيّ يهتمّ باستقراء النُّصوص، وتحليلها، وتفسيرها، ثمَّ إظهار الفروق بينها، وذلك من خلال استعراض كلّ غرض من أغراض الشِّعر، وتفسيره لدى الشَّاعرين العبَّاسيّين (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام)، ويحدد طرق تناولهما لها، كما توصَّلت الدِّراسة إلى النَّتائج الآتية: إنَّ الشِّعر يعبِّر عن حياة الفرد، فالشِّعر قريب من نفسية صاحبه؛ وهو وسيلة للتَّعبير عما يشغل فكره ويحسّه، وإن كان مصدر رزقه في أحيان كثيرة، فإنَّه لم يبخل على نفسه أن يبث فيه أفراحه وأحزانه. واستنتجت الدِّراسة استعمال الشُّعراء للصّنعة الأسلوبيَّة المتقنة، حيث أكثروا من استعمال البديع بأنواعه المختلفة من طباق، وجناس، وسجع، ومقابلة، وغيرها من فنون البديع. وتعدَّدت اتجاهات وميول الشُّعراء، فمنهم من أخذ الاتجاه العقليّ، أو البديعيّ، أو تصوير الطَّبيعة، أو التَّعبير عن الذَّات، أو الزُّهد، أو الفلسفة.

الكلمات المفتاحية:

الشِّعر العباسيّ
العصر العباسيّ الأوَّل
الموازنة بين الشُّعراء
الأغراض الشِّعريَّة
بشَّار بن برد
أبو تمَّام.

Some of the purposes of the Abbasid poetry of Bashar bin Burd and Abu Tammam: (a comparative study)

*Narges AbdelGhaffar Bazheer

Department of Science and Basic Studies, Applied College, University of Tabuk, The Kingdom of Saudi Arabia.

Keywords:

Abbasid Poetry
The First Abbasid Era
Balancing Poets
Poetic Purposes
Bashar Bin Burd
Abu Tammam

ABSTRACT

The research in the theoretical section aimed to talk about poetic purposes in the first Abbasid era in general, and in the applied section it was concerned with studying some poetic purposes in the poetry of (Bashar bin Burd and Abu Tammam) in particular by balancing them. Especially since they are considered among the great poets of the first Abbasid era, and they both belong to a poetic school that differs from the other. The poet (Bashar bin Burd 96-168 AH) is considered one of the first modern or new poets in Abbasid poetry. His poetry ranged between imitation and renewal, so he was imitated in praising And again in satire, pride, and ghazal. As for the poet (Abu Tammam 180-228 AH), he was one of the poets of the third class of hadith scholars. However, we find that he was imitative in some of his purposes and innovative in others. He was even called the poet of craftsmanship due to his excessive use of beautiful embellishments and innovative meanings. The research relied on the descriptive analytical method, with the help of the historical method. The descriptive analytical approach is concerned with extrapolating texts, analyzing them, interpreting

*Corresponding author:
E-mail addresses: narjisbazheir@gmail.com

Article History : Received 13 October 2023 - Received in revised form 25 May 2024 - Accepted 02 June 2024

them, and then showing the differences between them, by reviewing each purpose of poetry and its interpretation by the two Abbasid poets (Bashar bin Burd and Abu Tammam), and determining the ways they dealt with it. The study also reached the following results: Poetry expresses the life of an individual. Poetry is close to the psyche of its owner. It is a means of expressing what occupies his mind and senses; Although it is his source of livelihood in many cases; He did not spare himself to spread his joys and sorrows. The study concluded use of poets the mastery of stylistic craftsmanship, as they made extensive use of Badi' with its various types of counterpoint, alliteration, assonance, contrast, and other Badi' arts. The trends and inclinations of the poets varied, some of them took the mental direction; Or creative, nature photography, or self-expression; Or asceticism, or philosophy.

المقدّمة:

يُعَدُّ الشِّعرُ العربيّ ديوان العرب، وسجل أيامهم، وأخبارهم، وذاكرتهم الجمعيَّة اللُّغوية والتاريخيَّة، ومرآة أخلاقهم ومناقبهم، فقد قيل عنه بأنه ديوان العرب وعنوان الأدب، وقيل أيضًا الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الَّذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فتلمسنا ذلك. فقد اهتمّ الباحثون والنُّقاد بالشِّعر العربيّ؛ لأهميته الكبيرة، وشأنه الأدبيّ الرَّفيع، فتناولوه بالدِّراسة والبحث عبر زمن بعيد.

يسعى هذا البحث إلى دراسة الشِّعر العباسيّ من خلال بعض الأغراض الشِّعريَّة الَّتي تجلَّت في شعر **(بشَّار بن برد، وأبي تمَّام)**، إذ يُعَدُّ الشِّعر العباسيّ فنًّا أدبيًّا رفيعًا نشأ في العصر العباسيّ، فنقل صورة عن الحياة في ذلك العصر، وِفقًا لفكر الشَّاعر العباسيّ وإحساسه، وعاطفته، وخياله. فالعصر العباسيّ يُعتبر العصر الذَّهبيّ الَّذي ازدهرَ فيه الشِّعر العربيّ؛ وذلك نتيجة ازدهار الحياة بمختلف نواحيها الاقتصاديَّة والثَّقافيَّة والفكريَّة والسِّياسيَّة، بَعد انفتاح العرب واتصالهم مع الشُّعوب المجاورة، والأمم الأخرى، ونشاط حركات النَّقل، والتَّأليف، والتَّرجمة، والتَّعريب، فتأثرَت الحياة الأدبيَّة بجميع فنونها بهذا الازدهار الكبير، ولا سيَّما الشِّعر الَّذي أصبح له أهميَّة بالغة، إذ كان محطّ اهتمام خلفاء الدولة العباسيَّة، فمدوا الشعراء بالمال والجاه وبالغوا في إكرامهم وتشجعيهم.

فقد تطوَّر الشِّعر في العصر العباسيّ تطوُّرًا ملحوظًا، لذلك يُعد عصر تطوّر الشِّعر العربيّ، وازدهاره وتألقه، ومن أشكال تطوره نجد مثلًا: اهتمام الشُّعراء في إعادة هيكلة بينة القصيدة؛ وذلك بعد أن سكنوا المدن والحواضر وابتعدوا عن العيش في البيئة الصَّحراويَّة الَّتي كانت موطن القصيدة العربيَّة القديمة. وكذلك نجد أيضًا إبداعهم في التَّجديد والتَّطوير بأن جعلوا للقصيدة غرضًا واحدًا أو موضوعًا واحدًا بعد أن كان للقصيدة القديمة موضوعات عدَّة، فالقارئ يجد في القصيدة الواحدة الغزل، والمدح، والفخر، والهجاء.

ومن أشكال ازدهار الشِّعر في العصر العباسيّ: كثرة عدد الشُّعراء فكان عددهم أكثر من عدد الشعراء في أي عصر من عصور الأدب العربي، فازداد نظم الشعر، وتطوَّرت موضوعاته وأغراضه.

وقد أنجب هذا العصر مجموعة من الشُّعراء البارزين الَّذين تركوا بصماتهم الواضحة في تاريخ الأدب العربيّ. مثل: (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام) حيث يُعتبران من بين أبرز هؤلاء الشُّعراء الَّذين تميَّزوا بإبداعهم، وأسلوبهم الفريد. وتنوُّع الأغراض الشعريَّة في قصائدهم.

تشكِّل الأغراض أساسًا مهمًّا في الشعر، حيث يعبِّر الَّشاعر من خلالها عن أفكاره ومشاعره وآرائه. ومن المثير للاهتمام أن (بشَّار بن برد وأبي تمام) يتشاركان العديد من الأغراض الشعرية، مثل التعبير عن الحب والغرام، والتعبير عن الطبيعة والمناظر الطبيعية، والتعبير عن الحكمة والفلسفة.

إنَّ دراسة أغراض الشِّعر العباسيّ لدى (بشَّار بن برد، وأبو تمام) تعطينا نظرة متعمقة في عقلية الشُّعراء وفهمهم للعالم، والحياة في ذلك الزَّمن. فقد تميَّز شعريَّة **بشار بن برد** بقدرتها على التَّعبير العاطفيّ العميق، حيث كان يتجاوز بشعره حدود الواقع الماديّ، وينغمس في عوالم الجمال والحبّ والألم. إذ تمتَّع بقدرة فائقة على التَّلاعب باللُّغة، واستخدام البديع، والتَّشبيهات السَّاحرة لنقل الأفكار والمشاعر بشكل فريد.

أما **أبو تمام** فقد كان معروفًا بقدرته على التَّعبير الفصيح، والسَّلاسة اللُّغوية. نجده يعكف على التَّأمل في جمال الطبَّيعة، والتَّاريخ، والفلسفة، ويتحدَّث عنها بأسلوب رشيق وراقٍ. حيث اعتبر أبو تمام من أوائل الشُّعراء الَّذين تناولوا موضوعات الحكمة والفلسفة في شعرهم، وقد أبدع في استخدام التَّشبيهات الغنية، والصُّور البديعة لإيصال أفكاره وآرائه بطريقة رائعة.

وتتجلَّى أغراض الشِّعر العباسيّ عند (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام) في جوانب عدَّة، من بينها: إثراء الموروث الأدبيّ العربيّ بمواضيع جديدة ومتنوِّعة، وإيصال رسائل اجتماعيَّة، وسياسيَّة، وثقافيَّة، بطريقة فنيَّة راقية. يمكن أيضًا أن نرى أغراضًا تتعلَّق بالبحث عن الجمال، والحقيقة، والرُّوحانيَّة، وتعبِّر عن المشاعر الإنسانية المختلفة مثل الحبّ والحزن والألم.

ويعدُّ (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام) نموذجًا للشعراء الَّذين استطاعوا الخروج عن الأطر النَّمطيَّة، والتَّقاليد الشِّعريَّة المتعارف عليها، وأبدعوا في إحداث تغيير، وتجديد في الشِّعر العربي؛ لذلك فإنَّ دراسة أغراض شعرهما تساهم في فهم عميق للأدب العربيّ، وتقدير جماليَّة قصائدهما، وتكشف عن تأثيرهما الكبير على الأدب، والثقافة العربيَّة المعاصرة.

فمن خلال هذا البحث نأمل أن نتمكَّن من فهم بعض أغراض الشِّعر العباسيّ عند (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام)، وكيفيَّة تناولهما لهذه الأغراض في قصائدهما. كما سيساهم البحث في إثراء المعرفة الأكاديميَّة حول الشِّعر العباسيّ، وأهميَّة الأغراض في الشِّعر العربيّ.

سيتضمن البحث أيضًا تحليلًا نقديًا للشِّعر العباسيّ بشكل عامّ، وكذلك النَّقد الموجَّه (لبشَّار بن برد وأبو تمَّام) من قبل النُّقاد، والباحثين السَّابقين. سيتم تقديم استنتاجات وتوصيات نهائيَّة استنادًا إلى نتائج الدِّراسة الموازنة.

إشكاليَّة البحث:

تكمن مشكلة البحث في توضيح التشابه والاختلاف في بعض الأغراض الشعريَّة في الشِّعر العباسيّ، من خلال الموازنة بين (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام)، ولا سيَّما أنَّهما لا ينتميان إلى مدرسة شعريَّة واحدة.

إذ يعتبر فهم وتحليل أغراض الشعر العباسي لدى (بشار بن برد وأبو تمام) تحديًا في مجال الدراسات الأدبية؛ لأنَّه يتطلب فهم للأفكار العميقة، والمشاعر والمعاني المبتكرة في قصائدهما.

منهج البحث:

المنهج الوصفيّ التَّحليليّ.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة على الأسئلة الآتية:

1- ما دور الشِّعر العباسيّ في التَّعبير عن القضايا الاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، والسِّياسيَّة في ذلك العصر؟
2- ما أغراض الشِّعر العباسيّ؟ وهل تأثَّر بالحالة السِّياسيَّة السَّائدة؟
3- ما أبرز أغراض الشِّعر العباسيّ الَّتي برزت في تلك الحقبة التَّاريخيَّة؟ وكيف أثَّرت في شعر (بشَّار بن برد وأبو تمَّام)؟
4- ما الفروق الَّتي ظهرت في تناول أغراض الشِّعر العباسيّ بين (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام)؟
5- كيف يمكن موازنة أغراض الشِّعر العباسيّ لدى (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام) مع الشِّعر العربيّ في فترات أخرى؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى استكشاف الأغراض الرَّئيسة لشعرهما وكيفيَّة تجسيدها بواسطة الأساليب الشِّعرية المميَّزة الَّتي اعتمدوها. يمكن تلخيص أهداف البحث في الآتي:

1- التَّعريف بأغراض الشِّعر العباسيّ، وبيان التأثُّر بالحالة السِّياسيَّة.
2- بيان دور الشِّعر العباسيّ في التَّعبير عن القضايا الاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، والسِّياسيَّة في ذلك العصر.
3- تسليط الضَّوء على أبرز أغراض الشِّعر العباسيّ مثل: المديح والهجاء والرِّثاء والغزل، وكيف تناولها كل من (بشَّار بن برد، وأبي تمَّام).
4- بيان الفرق بين شعر (بشَّار بن برد، وأبي تمَّام) في تناول أغراض الشِّعر العباسيّ.
5- التَّحقُّق من موازنة أغراض الشِّعر العباسيّ لدى (بشَّار بن برد، وأبي تمَّام)، مع أغراض الشِّعر العربيّ في فترات أخرى.

حدود البحث:

1. **الحدود المكانيَّة:** طبقت هذه الدِّراسة على الحدود المكانيَّة للخلافة العباسية الَّتي عاش فيها الشَّاعران وتنقلا كثيرًا بين مختلف بلدانها.
2. **الحدود الزَّمانيَّة:** طبقت الدِّراسة خلال الفترة ما بين (96 هـ- 231 هـ) وهي الفترة الَّتي عاش فيها الشَّاعران.
3. **الحدود البشريَّة:** شملت الدِّراسة شخصين من كبار الشُّعراء في العصر العباسيّ وهما: (بشار بن برد، وأبو تمَّام).
4. **الحدود المنهجيَّة:** اتبعت الدِّراسة المنهج الوصفيّ التَّحليليّ، والَّذي يهتمّ باستقراء النُّصوص، وتحليلها وتفسيرها، ثمَّ إظهار الفروق بينها، وذلك من خلال استعراض كلّ غرض من أغراض الشِّعر، وتفسيره لدى الشَّاعرين العباسيّين (بشَّار بن برد، وأبو تمَّام).

ستعتمد الدِّراسة على تحليل النُّصوص الشِّعريَّة الموجودة في دِوَانَي (بشَّار بن برد، وأبي تمام)، ومن ثمّ مقارنتها لاستخلاص الأغراض المشتركة والمتناقضة بين الشاعرين. سيتمّ أيضًا استخدام المصادر التَّاريخيَّة، والنَّقديَّة الموثوقة لدعم الدِّراسة، وتحقيق مستوى عالٍ من التَّحليل والتَّوثيق.

الدِّراسات السَّابقة:

عُني الباحثون بدراسة الشِّعر العباسيّ (خصائصه، موضوعاته وأغراضه) بشكل عام دون التفرد بدراسة شاعر محدد مثل دراسة بعنوان **(خصائص الشعر في العصر العباسي)** 2015م، للباحثة الدكتورة ياسمينة عمر، تناولت فيها جانبًا من خصائص الشعر في العصر العباسي من خلال أغراضه، أمَّا عن الدراسات التي عُنيت بشعر **(بشَّاربن برد و أبي تمَّام)** فهي كثيرة؛ وذلك لمكانتهما الأدبية الرفيعة في الشعر العباسي، ولا يتَّسع مجال البحث لذكرها جميعًا، لذلك سنذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر، مثل دراسة بعنوان **(بشار بن برد، آخِر القدماء وأول المحدثين)** 2002م، للكاتب محمود سالم محمد، وقد تناول فيه الموضوعات الشعرية في شعر بشار بن برد مثل (الغزل، الهجاء، الوصف)، ودراسة بعنوان **(الغزل والهجاء في شعر بشار بن برد)** 2018م، للباحثة فطيمة سعود، ودراسة بعنوان **(مقدمات قصائد أبي تمام)** 2008م، للباحثة نادية الصّاعدي، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير، وقد تناولت فيها مقدمات قصائد أبي تمام وعلاقتها بمضمون القصيدة وفقا للأغراض الشعرية (المدح، والرثاء، والغزل، والهجاء) وغيرها. كما نجد دراسات اهتمت بدراسة غرض محدد في شعر أبو تمام مثل دراسة بعنوان **(قصيدة المديح عن أبي تمام بين الرؤية والفن)** 2014م للباحث شاكر أبو سمور، ودراسة بعنوان **(المعاني المدحية عند أبي تمام)** 2021م، للباحثة لطيفة رشدي.

أهميَّة البحث:

تكمن أهميَّتها بأنَّها تُعدُّ من أوائل الدِّراسات الَّتي عُنيت بالموازنة بين شاعرين من أهم شعراء العصر العباسيّ من حيث دراسة بعض الأغراض الشِّعريَّة في قصائدهما، ولا سيَّما أنَّ هذه الأغراض تتعلَّق بفترة ازدهار الشِّعر في العصر العباسيّ.

كما أنَّ الحاجة إلى البحوث والدِّراسات بالغة الأهميَّة، وبخاصة اليوم هي أحوج لذلك من أي وقت غابر، فالبحث العلمي والتَّفكير المنطقيّ من خصائص الأمم المتحضرة، والَّذي يضمَّن تفوقها على غيرها، وذلك لأنَّ عظمة الأمم تكمن في أسلوبها العلميّ، وقدرات علمائها العلميَّة والعمليَّة، كما أنَّ البحوث العلميَّة ميدان منعش لاقتصاد الأمم، ويحقِّق تطوّرها مما يكفل رفاهيَّة الإنسان وسمو أخلاقه، وهذا ما دفع البحث إلى دراسة الأغراض الشِّعريَّة في العصر العباسيّ الأوَّل، والموازنة بين أسلوب شاعرين مشهورين من هذه الفترة الزَّمنيَّة، ومن هذا المنطلق آثرت الدِّراسة في هذا المجال الَّذي أثرى مشهدنا الثَّقافيّ، وقد أضاف الكثير لهذا المشهد، وحاز شهرة كبيرة من خلال تناوله بعض القضايا الوطنيَّة والعربيَّة، وكذلك الإضافة الجديدة، لما كتبه البلاغيون عن هذا الفن البديعيّ، من تحليل للخطاب الشِّعريّ، وتبيين البنية الكلّيَّة للنَّصّ وما استجدّ من صوره وأقسامه.

كما يتوقَّع أن توفر هذه الدِّراسة فهمًا عميقًا للأدب العباسيّ، وتقديراً أعمق للمساهمة الفريدة لبشار بن برد وأبو تمام في هذه الفترة. يمكن أن تساهم النَّتائج في توسيع المعرفة بشأن الشِّعر العربيّ الكلاسيكيّ، وتأثيره على الأدب والثَّقافة العربيَّة المعاصرة. كما يمكن أن تستفيد الدِّراسات الأدبيَّة الحديثة من النَّتائج والتَّحليلات المقدمة في هذا البحث.

الإطار النَّظريّ:

المحور الأوَّل: مفهوم الأغراض الشِّعريَّة.

أوَّلًا: الغرض في اللُّغة:

يشير مصطلح "الغرض" إلى الهدف والقصد والحاجة. ووفقًا لمعناه في **لسان العرب**، يعني "الغرض" الهدف الذي يرمى إليه، وجمعه "أغراض". وفي حديث الدجال: "أنه يدعو شابًّا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين

رمية الغرض"، يشير "الغرض" هنا إلى الهدف، وغرض الدجال هو حاجته وبُغيته. ويفهم من تعبير "غرضك"، أنه يشير إلى قصدك. ويمكن استخدام تعبير "اعترض الشيء" للإشارة إلى جعله هدفًا للشخص. (ابن منظور: 7/ 196).

أما في **القاموس المحيط للفيرزآبادي**: "الغَرَضَة محركة: هدف يرمى فيه، جمعه: أغراض" (الفيروز آبادي: 648).

وفي **مختار الصحاح للعلامة الرازي** نلفي ذات المعنى اللغوي للكلمة، الغرض: الهدف الذي يرمى فيه، وفَهِم غرضه؛ أي: قصده، (الرازي: 197).

وهكذا فالغرض هو الهدف الموضوع نُصب العين، وهو ما نسعى إليه ونتُوق بلوغه، والشَّاعر العربيّ القديم لم يكن ينظم قصائد شعرية -مطوَّلة في كثير من الأحيان- من دون أن يكون له هدف مرسوم يرمي إليه، بل كان قوله خطَّة مدروسة، محكمًا ومقننًا، ينطلق فيه من مقدّمة يصل بها إلى نتيجة، وخلاصة، وغاية تختلج نفسيته وتدفعه إلى القول والنَّظم، وقد ذكر صاحب كتاب (الشِّعر والشُّعراء) أن مقصد القصيد إنَّما ابتدأ فيها بذكر الدِّيار، والدّمن، والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرَّبع واستوقف الرَّفيق؛ ليجعل ذلك سببًا لذِكر الظاعنين عنها؛ إذ كان نازلة العمد في الحلول، والظّعن على خلاف ما عليه نازلة المدر؛ لانتقالهم عن ماء إلى ماء؛ لانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثمَّ وصل ذلك بالنسيب...إلى آخر مقولته الَّتي يبين فيها سبيل صناعة الشِّعر الجيّد، (ابن قتيبة: 1/ 74).

فنظم الشِّعر كان عملًا عقليًّا مفكَّرًا فيه، ولم يكن ضربًا من الأحلام أو الخيال الَّذي لا حدود تحُدُّه. وقد اختَلَف نقَّاد الشِّعر العربيّ في تسمية الأغراض الشِّعريَّة، كما اختلفوا في حصر عددها.

ثانيًا: الغرض في الاصطلاح:

أثناء البحث في كتب النَّقد الشِّعري القديمة عن أهمّ أهداف الشِّعر وموضوعاته، كان هناك عدد كبير من التَّسميات الَّتي استخدمها نقادنا القدامى؛ لوصف مفهوم الغرض الشِّعريّ. فنجد بعضهم يشير إلى فنون الشِّعر، وآخرون يتحدَّثون عن أبوابه، وثمَّة من يذكر أنماط الشِّعر وأنواعه، وبعضهم الآخر يتحدَّث عن أركانه. سيركز البحث الحالي على هذه التَّسميات الَّتي استعملوها، ويسلِّط الضَّوء عليها.

فقد قام الأستاذ والناقد الدكتور **محمد الأمين** المؤدب صاحب كتاب **"في بلاغة النص الشعري القديم معالم وعوالم"** بتتبع جيّد لتسميات مصطلح الغرض في كتب النَّقد الأدبيّ القديم، حيث تورد دراسته أنَّه خلص إلى أنَّ مصطلح الغرض قد ورد بمعانٍ متعددة:

1. **الفنون:** وذلك عند أبي عبيدة، وابن سلَّام، وابن طَبَاطَبَا العلَوي، وابن وهب، وابن خلدون، (المؤدب، 2014: 61).
2. **الأبواب:** وورد الغرض الشِّعريّ بمعنى الأبواب عند (أبي تمام) في حماسته، إذ أنشأها على أبواب ثابتة، هي: الحماسة، المراثي، النَّسيب، الهجاء، وأضاف إليها الأدب، والأضياف، والصِّفات، والسِّير، والنُّعاس، والمُلَح، ومذمة النِّساء، (المؤدب، 2014: 62).
3. **الضُّروب والأنواع:** قال (جَرير) في إجابة له عن سؤال (عبد الملك) أو (ابنه الوليد): مَن أشعر الناس؟ بعد أن ذكر مجموعة من الشُّعراء: نسبت فأطربت، وهجوت فأرديت، ومدحت فسنيت.... فأنا قلت ضروب الشِّعر كلّها، وكلّ واحد منهم قال نوعًا.

وقال **ابن سلام**: سألت (بشارًا العقيليّ) عن الثَّلاثة فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، قلت: فجرير والفرزدق؟ قال: كان جرير يحسن ضروبًا من الشِّعر لا يحسنها الفرزدق.

وحكى **ابن رشيق** أن قومًا قالوا: الشِّعر كله نوعان: مدح وهجاء، وأنَّ سائر التَّفريعات الأخرى تنشعب عنهما وترتد إليهما، وفي اللِّسان: الضَّرْب: الصِّنف من الأشياء...(المؤدب، 2014: 66).

وهكذا فقد أورد نقادنا القدامى-كما توضح ذلك النُّصوصُ المبثوثة في هذه الفقرة المقتطفة من كتاب "في بلاغة النَّصّ الشِّعري القديم، معالم وعوالم"- تسمية الضُّروب والأنواع للدّلالة على معنى الغرض الشِّعريّ.

4. **الأركان:** وتأتي الأغراض كذلك بمعنى الأركان؛ حيث جاء في (العمدة) أنَّ بعض العلماء كان يقول: بُنِيَ الشِّعر على أربعة أركان (بمعنى أغراض)، وهي المدح، والهجاء، والنَّسيب، والرِّثاء، (المؤدب، 2014: 67).
5. **الأصناف:** ويُعَدّ (ابنُ وهب) من أوائل النُّقَّاد الَّذين تحدَّثوا عن المديح، والهجاء، والحكمة واللَّهو باعتبارها أصنافًا للشِّعر، ثمَّ جاء بعده (ابن رشيق) الَّذي جعل لتلك الفنون والأصناف بابًا أسماه: "باب في أغراض الشِّعر وصنوفه" (المؤدب، 2014: 68).
6. **المقاصد:** وقد استعمل مصطلح الأغراض بمعنى المقاصد (الجُرجانيُّ)، و(حازم) بصفة خاصَّة، (المؤدب، 2014: 68).
7. **الأقسام:** يقول (العسكريّ) مشيرًا إلى تطوُّر أغراض الشِّعر: وإنَّما كانت أقسام الشِّعر في الجاهليَّة خمسة: المديح، والهجاء، والوصف، والنَّسيب، والمراثي، (المؤدب، 2014: 68).
8. **المعنى:** حيث كان (امرؤ القيس) أوَّل من فصل بين النَّسيب والمعنى، (المؤدب، 2014: 69).

قُدَامة بن جعفر: وقد استأثر مفهوم الشِّعر باهتمام النَّاقد المعروف في تاريخ النَّقد العربيّ (قدامة بن جعفر) حيث يقول في العلاقة بين المعنى المراد بثه من طرف الشَّاعر، والغرض المطلوب وفي أقسام أغراض الشِّعر:

"جِماع الوصل لذلك أن يكون المعنى مواجهًا للغرض المقصود، غير عادل عن الأمر المطلوب، ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصِّفة ممَّا لا نهاية لعدده، ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك، كي يبلغ آخره -رأيت أن أذكر منه صدرًا ينبئ عن نفسه، ويكون مثالًا لغيره، وعيارًا لما لم أذكره، وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشِّعراء، وما هم له أكثر دوسًا، وعليه أشد دومًا، وهو المديح، والهجاء، والمراثي، والتَّشبيه، والوصف، والنَّسيب" (ابن جعفر ،1965: 91).

فهو يذكر في هذه الفقرة من كتابه: "نقد الشِّعر" أهم الأغراض الشِّعريَّة الَّتي دَرَجَ على النَّظم على منوالها الشُّعراءُ القدامى، وهي -كما يقول- بمثابة عيار يقاس عليه ما لم يذكره، وهذه الأغراض هي: المديح، والهجاء، والمراثي، والتَّشبيه، والوصف، والنَّسيب.

أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: أما أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في كتابه: "قواعد الشعر" فيقسم الكلام إلى أمر ونهي، وخبر واستخبار، ويذكر أن هذه الأنواع الأربعة تتفرَّع إلى المدح، والهجاء، والرِّثاء، والاعتذار، والتَّشبيب، والتَّشبيه، وحكاية الأخبار، (الشيباني،1995: 17).

حازم القرطاجني: في كتابه: "منهاج البلغاء، وسراج الأدباء" تطرَّق لموضوع الأغراض الشِّعريَّة، وكان له فيها رأيٌ دقيق ومفصل، وقبل أن يعرض تصوره هذا بدأ بنقد آراء النَّاس من قَبله، وتقسيماتهم الَّتي قسموا بها أغراض الشِّعر العربيّ، "اختلف النَّاس في قسمة الشِّعر؛ فقسمه بعض مَن تكلم في ذلك إلى ستة أقسام: مدح، وهجاء، ونسيب، ورثاء، ووصف، وتشبيه، وقال بعضهم: الصحيح أن تكون أقسامه خمسة؛ لأن التشبيه راجع إلى معنى الوصف، وقال بعضهم: أركان الشِّعر أربعة: الرَّغبة، والرَّهبة، والطَّرَب، والغضب، وقال بعضهم: الشِّعر كلّه في الحقيقة راجع إلى معنى الرَّغبة والرَّهبة، وهذه التَّقسيمات كلّها غير صحيحة؛ لكون كلّ تقسيم منها لا يخلو من أن يكون فيه نقصٌ أو تداخل" (القرطاجني ،1986: 336).

ومن خلال العرض السَّابق نجد أنَّ الأغراض الشِّعريَّة تشكِّل جانبًا هامًا في فهم وتحليل الشِّعر، فهي تمثل المبادئ والأهداف التي يسعى الشَّاعر لتحقيقها من خلال قصائده. وتعتبر الأغراض الشِّعريَّة أساسًا لا غنى عنه في فهم الرِّسالة والمعنى العميق وراء الكلمات الشِّعريَّة.

تتنوَّع الأغراض الشِّعريَّة وتختلف بحسب العصور والثَّقافات والتَّيَّارات الأدبيَّة. قد يكون الغرض الشِّعريّ هو التَّعبير عن الجمال والإبداع اللُّغويّ، أو تسليط الضَّوء على الواقع الاجتماعيّ والسِّياسيّ، أو التَّعبير عن المشاعر والعواطف الإنسانيَّة العميقة، أو توصيل رسائل فلسفيَّة أو روحيَّة. وتعكس الأغراض الشِّعريَّة رؤية الشَّاعر ومواقفه وتفاعله مع العالم المحيط.

ومن خلال دراسة الأغراض الشِّعريَّة في الشِّعر القديم، يمكننا فهم تطوُّر الأفكار الأدبيَّة والثَّقافيَّة عبر الزَّمن. يستفيد الباحثون والنُّقَّاد من تحليل الأغراض الشِّعريَّة لفهم رسالة الشَّاعر، وإلقاء الضَّوء على معاني مختلفة يمكن أن تكون مغمورة بالمفردات الشِّعريَّة والتَّشكيل اللُّغويّ.

باختصار، يعتبر فهم الأغراض الشِّعريَّة أساسيًّا لتقدير واستيعاب الشِّعر، وهو يساعدنا في الاقتراب من روح القصيدة ومعناها العميق وتأثيرها على القارئ.

المحور الثَّاني: الأغراض الشِّعريَّة في العصر العباسيّ الأوَّل:

ظل العبَّاسيون ينظمون في الموضوعات القديمة من المديح وغير المديح ممَّا كان ينظم فيه الجاهليون والإسلاميون، وبذلك أبقوا للشِّعر العربيّ على شخصيَّته الموروثة، وقد مضوا يدعمونها دعمًا بما لاءموا بينها وبين حياتهم العقليَّة الخصبة، وأذواقهم المتحضِّرة المرهفة، فإذا هي تتجدَّد من جميع أطرافها تجدُّدًا لا يقوم على التَّفاصيل بين صورة هذه الموضوعات الجديدة وصورتها القديمة، بل يقوم على التَّواصل الوثيق.

شهدت الأغراض الشِّعرية تنوعًا كبيرًا. حيثُ كان هناك اهتمام بتوثيق وصوغ الشِّعر الفصيح، والتَّعبير عن الجمال والإبداع اللُّغويّ، حيث كانت المهارة اللُّغويَّة والابتكار في استخدام الألفاظ، والأساليب الشِّعريَّة محورين مهمين في الشِّعر العباسيّ. كما كان هناك رغبة في تسليط الضَّوء على القضايا الاجتماعيَّة، والسِّياسيَّة والثَّقافيَّة الَّتي كانت تحيط بالشُّعراء والمجتمع في ذلك الوقت.

1. **المديح:**

تعتبر فترة العبَّاسيّين الأولى (750-847 م) فترة ذهبيَّة في تاريخ الأدب العربيّ، حيث تزايد اهتمام الحكام العبَّاسيّين بالشُّعراء وتشجيعهم، وكانوا يراعون المدح والمديحة كوسيلة للتمجيد والمدح بالفضائل والمكارم. تم تكريم الشُّعراء الَّذين كانوا يمدحون الخلفاء والحكام والولاة، وكانوا ينالون جوائز ومكافآت سخيَّة.

كان المديح في العصر العباسيّ الأوَّل يتناول المواضيع المختلفة، بدءًا من مدح الخلفاء والحكام والولاة، إلى مدح الشَّخصيَّات العامّة والأفراد المشهورين في ذلك الوقت. وكانت القصائد المديحيَّة تركِّز على التَّصوير المثالي للشَّخصيَّة المحمودة، وتبرز الفضائل والصِّفات الحميدة الَّتي تتمتَّع بها تلك الشَّخصيَّات. وقد كان الشُّعراء يتنافسون في كتابة المديحات، وكانوا يسعون إلى إظهار براعتهم وابتكارهم الشِّعريّ من خلال الإشادة بالشَّخصيَّات والإحداث المهمة. كما استخدموا اللُّغة البلاغيَّة، والتَّشبيهات الجميلة لإبراز مدى عظمة المدح وتأثيره على القرّاء والمستمعين.

تتميَّز المديحات في العصر العباسيّ الأوَّل بأسلوبها الرَّفيع والفاخر، واستخدامها للمفردات الغنية والتَّعابير البلاغية المتقنة. إذ كانت تتألَّف القصائد المديحيَّة من بيتين أو بيت واحد، وقد كانت قويَّة المفعول ومؤثرة في نفوس النَّاس.

بالإضافة إلى تكريم الشَّخصيَّات السِّياسيَّة، كان المديح يتناول أيضًا المواضيع الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، وكان يعكس رؤية الشُّعراء للفضائل والقيم النبيلة والمثل الحميدة التي يجب أن يسعى إليها المجتمع.

إنَّ المديح في العصر العباسيّ الأوَّل كان يعكس روح العصر والتَّوجهات الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة في ذلك الوقت. وقد أثَّرت هذه القصائد على المشهد الثَّقافيّ والأدبيّ، وأسهمت في تعزيز القيم الأخلاقيَّة والإلهام للناس بالفضائل النبَّيلة والمكارم الرَّشيدة التي يجب أن يحققوها في حياتهم.

2. **الهجاء:** وإذا تركنا المديح وانتقلنا إلى الهجاء وجدنا معالم التَّطوّر فيه أعمق وأوسع منها في المديح الخالص، إذ كان يتَّصل بحياة الشَّعب، والعامّة اتِّصالًا لعلَّه أدقّ من اتِّصال المديح، وهي حياة لم يَعد أساسها العصبيات القبليَّة كما كان الشَّأن في العصر الأمويّ، ومن أجل ذلك ضعف فنّ النقائض لقيامه عليها إلَّا مجموعات قليلة كانت تظهر من حين إلى حين. ولكن إذا كان هذا الفنّ قد ضَعُفَ، فإن الهجاء لم يضعف بسبب التَّنافس الشَّديد بين الشُّعراء، وقد عمَّت فيه روح جديدة.

وكان الهجاء يُعد جزءًا مهمًّا من الشِّعر والأدب. فقد كان الشُّعراء يستخدمونه كوسيلة للتَّعبير عن آرائهم وانتقاداتهم للأشخاص والأحداث والتَّصرفات التي يرونها غير مقبولة أو تستحق الانتقاد.

حيثُ تنوَّعت مواضيع الهجاء في العصر العباسيّ الأوَّل، فقد كان هناك الهجاء السِّياسيّ الَّذي استهدف الحكام والسَّاسة وانتقد سياساتهم وأفعالهم. وكان هناك الهجاء الاجتماعيّ الَّذي تناول قضايا المجتمع والظلم الاجتماعيّ والفساد. وقد استخدم الشُّعراء في الهجاء الأساليب المباشرة، والمجازيَّة والسَّاخرة للتعبير عن انتقاداتهم وإيصال رسائلهم.

من بين الشُّعراء البارزين الَّذين كتبوا الهجاء في العصر العباسيّ الأوَّل، يمكن ذكر أسماء مثل (أبو تمام، وأبو العتاهية، والبحتري، والمتنبي) فقد كان هؤلاء الشُّعراء يتميَّزون بقدرتهم على صياغة الكلمات بطرق قويَّة ومثيرة واستخدام الألفاظ اللَّاذعة والسَّاخرة في هجائهم.

كما يعد الهجاء في العصر العباسيّ الأوّل جزءًا مهمًا من التُّراث الشِّعريّ في تلك الفترة، حيث تمَّت محاولات لتطوير الأساليب والتَّعبير في الهجاء، وكان له تأثير كبير على المجتمع والثَّقافة في ذلك الوقت.

3. **الفخر:** ظلَّ للفخر حيويته القديمة، وإن كان قد ضعف فيه الفخر القبليّ، فقد بقي منه عند نفر من الشُّعراء، وفي مقدّمتهم (أبو نواس) إذ كان يتعصب لمواليه من بني (سعد) العشيرة القحطانيين، وينظِّم في ذلك أشعارا كثيرة، ومثله كان (دعبل)، وقد ردَّ على مذهبة (الكميت) التي تشيّع فيها للنزاريين على القحطانيين ردّا عنيفًا، ممَّا جعل (أبا سعد المخزوميّ) يهاجيه طويلًا. وحاول شاعر يُسمَّى (ابن قنبر) أن يدفع (مسلم بن الوليد) للاشتباك به في معركة حامية من معارك الهجاء القبليّ، ولكن مسلمًا أخرسه. وكان (بشَّار) يتعصَّب في عصر (بني أميّة) لمواليه القيسيّين تعصبًا حادًّا، حتَّى إذا نجحت الثَّورة العباسيَّة أظهر ما كان يستره من كره الإسلام والعرب، وأخذ يعنِّف بهم عنفًا شديدًا، مصوّرًا البغض الَّذي كان يحرق كبده. والجديد حقّا في الفخر لهذا العصر أن كثيرًا من الشُّعراء صدروا في فخرهم عن شعور طاغ بالمروءة والكرامة والشِّيم الرَّفيعة.

.1

4. **الرثاء:** نشط الشُّعراء في الرِّثاء نشاطًا واسعًا، إذ لم يمت خليفة ولا وزير ولا قائد مشهور إلَّا وأبّنوه تأبينًا رائعًا، وقد صوّروا بطولتهم ومحنة الأمّة والجيوش في وفاتهم، وكيف ملأ موتهم القلوب حسرة وفزعًا. وحقّا رثاؤهم لهم يفيض بالحزن واللوَّعة، ولكنَّه مع ذلك يكتظ بالحماسة والقوّة، وتمجيد بطولتهم تمجيدًا يضرم الحمية في نفوس الشَّباب للدِّفاع عن العرين حتَّى الموت، دفاعًا يقوم على البأس والبسالة والاستطالة. وكان يحدث أن يخرّ بطل صريعًا في بعض الميادين، حينئذ ينظم فيه الشُّعراء مراثي حماسيَّة تؤجج لهيب الحفيظة في القلوب وتدفع إلى الاستشهاد تحت ظلال الرماح ذبًّا عن حرمات الوطن. وقد ظهرت ضروب جديدة في الرِّثاء لم تكن معروفة قبل هذا العصر، من ذلك (رثاء المدن) حين تنزل بها كوارث النَّهب والحرق، وكان الجيش الَّذي أحاط ببغداد قبل مقتل (الأمين) رماها بالمجانيق، فاندلعت فيها النيران واحترقت بعض الأحياء، وعمّ فيها نهب الأموال وقتل الأبرياء، ممَّا جعل كثيرين من الشُّعراء يبكونها، وقد غمرهم الحزن والأسى.

.2

5. **الغزل:** لعلّ الشَّاعر العباسيّ لم يعنَ بموضوع قديم كما عُنيَ بالغزل، وتصوير عاطفة الحبّ الإنسانيَّة الَّتي كانت تخفق بأغانيها صباح مساء العيدان والطنابير والدفوف والمعازف من كل شكل مختلطة بأصوات المغنيات والمغنين على جميع صور الإيقاعات من الشِّدة واللِّين. وكانت المغنيات خاصَّة أو بعبارة أخرى القيان يعبثن بقلبه هنَّ، ومن حولهنَّ من الجواري والإماء، وكان يتَّصل بهنَّ اتِّصالًا غير مقطوع، وكلّ منهنَّ تود لو استحوذت على شاعر، وبادلته حبّا بحبّ، وهيامًا بهيام. وكاد أن يكون لكلّ شاعر طائفة من الجواري يحففن به، وكان منهنَّ كثيرات يحسنّ نظم الشِّعر، فكن يكتبن أبيات الغزل المثيرة على عصائبهنَّ وثيابهنَّ، وقد يطارحن بعض الشُّعراء أبيات العشق والصبَّابة، على نحو ما صوّرنا من ذلك في غير هذا الموضع.

.3

6. **المجون:** لقد اتَّسعت موجة المجون واتَّسع معها وصف الخمر، وكان القدماء يصفونها على نحو ما هو معروف عن (الأعشى)، و(عدي بن زيد العبَّاديّ)، وأخذ وصفها يكثر في أواخر عصر (بنى أميَّة) عند (الوليد بن يزيد)، و(أبي الهنديّ) وأضرابهما، يرى مجالسها، منذ مطالع هذا العصر، معقودة في البصرة والكوفة، حتى إذا قامت بغداد نافستهما في تلك المجالس. وكانت تنبتّ حاناتها في الكرخ ببغداد غير الكرخ وفيما وراءه من دور النِّخاسة والأديرة المنثورة في ضواحي الكوفة، وعلى الطَّريق منها ومن البصرة إلى بغداد، فأمّها جميعا مجان الشُّعراء هم وغيرهم من عامة لفسَّاق، وكانوا أخلاطًا، منهم الزِّنديق الثَّائر على الإسلام وتعاليمه، ومنهم الحزين الَّذي لم تحقِّق له الدَّولة أحلامه، فأكبّ على الخمر يغرق فيها آلامه، ومنهم المجوسيّ والدَّهريّ الَّذي لا يؤمن بأي كتاب سماويّ. وقد مضوا جميعًا يعبّون من الخمر حتَّى الثُّمالة، وتلقانا منهم منذ أوائل العصر جماعات ألّف المجون، والعشق، والفسق، والإثم بينهم مثل جماعة (مطيع بن إياس)، و(والبة) و(حماد عجرد) و(يحيى بن زياد لحارثي) في الكوفة، وكانوا يعبّون الخمر أرطالًا، ويتغزلون الغزل المكشوف الماجن بالجواري، والغزل الشَّاذ الدَّنس بالغلمان، متحرّرين من كلّ خلق وعرف ودين.

7. **الزّهد:** وقد انتشر في العصر شعر الزّهد، وكان أكثر اتّصالًا بحياة الجماهير من شعر الخمر والمجون، فإنها لم تكن تعرف ترفًا ولا ما يشبه الترف، وكانت تعيش حياة دينيَّة مستقيمة يشيع في بعض جوانبها النسك والعبادة. وإذا كان كتاب (الأغاني) يفيض بالمجون، فإنَّ كتب (الطَّبقات) الَّتي ترجمت للفقهاء والمحدثين تفيض بأخبار العبّاد والزّهَّاد الَّذين رفضوا الدُّنيا، وشهواتها، وملاذها، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، ممسكين أيديهم عن أخذ عطاء أو مال من خليفة أو وال. ويشيع مع هذه الأخبار كثير من الأشعار التي تصور زهد هؤلاء النَّاسكين وانصرافهم عن متاع الدُّنيا الزَّائل والإقبال على الآخرة بالتقوى والتوكل على الله والعمل الصَّالح. وقد تبعهم كثير من الشُّعراء يردّدون نفس النَّغم، حتَّى شعراء المجون أنفسهم فإن منهم من كان يثوب إلى نفسه فيعاف ما تردّى فيه من فسق ومجون، وحينئذ إما أن يقلع عن غيه إلى الأبد على نحو ما أقلع (محمَّد بن حازم الباهلي)، وإما أن يقلع إلى حين يطول أو يقصر على نحو ما يلقانا عند (أبى نواس)، وأخذت تظهر حينئذ تباشير التَّصوف، غير أنه لا يزدهر في هذا العصر، إنما يزدهر في تاليه (الحميدي ،1429،: 22).

.4

وهذا ملخَّص الأغراض الشِّعرية في العصر العباسيّ الأوَّل في هذا المبحث، ويناقش المبحث التَّالي أوَّل وأهمّ هذه الأغراض في هذا العصر، مع إجراء موازنة بين (بشَّار بن برد وأبي تمَّام).

المبحث الثاني: المدح

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأوّل: المدح عند بشار بن برد.

المطلب الثاني: المدح عند أبي تمام.

تمهيد: لقد تعددت موضوعات الشعر وأغراضه في العصر العباسي الأول كما مرَّ، وهذا التعدد في الموضوعات تبعه ضرورةً تعدد في طرائق الشعراء في استخدام كل غرض من هذا الأغراض، ويناقش هذا المبحث أهم الأغراض الشعرية في العصر العباسي الأول عند أبي تمام وبشار بن برد، وهي: المدح، والرثاء، والغزل، والهجاء، وإجراء موازنة بين كل من هذه الأغراض لفهم كيفية تعامل الشعراء مع كل غرض منها وتحقيقه بأساليبهم الخاصة.

المطلب الأول: المدح عند بشاربن برد:

بشار بن برد بن يرجوخ، كنيته أبو معاذ، وكان فارسي الأصل من جهة الأب، وأمّه رومية، وقد حاز شعره على اهتمام النقاد قديمًا وحديثًا؛ لإبداعه ومتانة شعره وقدرته على النظم في الموضوعات المختلفة (محمد، 2002، 101).

حافظَ (بشَّار) على سمات شعر المدح المأخوذة من التُّراث القديم، وهذا يظهر في جزالة التَّعبير وقوة العبارات وتركيزها. كما ينعكس في شعره مضمون المداحين القدامى، حيث كانوا يبدؤون قصائدهم بتصوير المناظر الطبيعية والأماكن الجميلة والغنية بالتاريخ. كما يتضمن وصفًا للحيوانات ومحاكاة رحلاتها ومميزاتها. ثم يتجهون إلى تمجيد القبائل وأفرادها وذكر بطولاتهم، ويضيفون بعض الحكم والمواعظ في قصائدهم.

يُلاحظ في شعر (بشار) الاحتفاظ بعناصر تراثية قديمة في شعر المدح، حيث يجمع بين التفاصيل الجميلة للطبيعة والحيوانات والتاريخ القبلي، وينسجها مع مدائح موجهة للأفراد والقبائل. كما يتميز شعره بأسلوبه الفني البارع واستخدامه للصور البديعة والتعابير البديعة، مما يجعله واحدًا من أعظم شعراء المدح في العصر العباسي الأول. (ضيف،1966: 209).

وعلى هذا المنوال نسج بشّار بن برد مدائحه الّتي كان يقولها لا لإعجاب بالممدوح بل لكسبه والتّودد إليه، ومع أخذه لسنة من قبله في المدح إلّا أنّه يسمعك المعجب المطرب، والتّشبيه البديع الأخّاذ، ويرفع الممدوح إلى أرقى الدرجات، فيُطمع به الملوك والسّلاطين بقدر ما يُخيفهم منه، (ضيف،1966: 209).

ومدح (بشار) الخليفة الأموي (مروان بن محمد بن مروان)، إذ يقول:

جَفا وِدُّهُ فَازوَرَّ أَو مَلَّ صاحِبُه... وَأَزرى بِهِ أَن لا يَزالَ يُعاتِبُه

خَليلَيَّ لا تَستَنكِرا لَوعَةَ الهَوى... وَلا سَلوَةَ المَحزونِ شَطَّت حَبائِبُه

شَفى النَفسَ ما يَلقى بِعَبدَةَ عَينُهُ... وَما كانَ يَلقى قَلبُهُ وَطَبائِبُه.

وكذلك كان المدح من أدوات الشعراء الأصيلة في العصر العباسي الأول، وهو مشترك بين جميع الشعراء تقريبًا، ولكن اختلفت طريقة كل شاعر في تعاطيه، أما الرثاء فيتفاضل فيه الشعراء مفاضلة كبيرة، ولعل ذلك راجعًا لطبيعة كل شاعر وطريقة تناوله لحقيقة الموت في أشعاره، ويدرس المبحث التالي غرض الرثاء عند الشاعرين.

المطلب الثاني: المدح عند أبي تمام:

أبو تمَّام "هو حبيب بن أوس الطائي، ولد بقرية جاسم من أعمال حوران، من بلاد دمشق، كان أسمر طويلًا، فصيحًا حلو الكلام، كان فطنًا ذكيًّا محبًّا للشعراء، توفي في الموصل سنة ثمان وعشرين ومئتين" (شاهين، 1987: 8-12).

فقد كان (أبو تمام) من أبرز الشعراء الذين أبدعوا في المديح، فنظم الكلمات بطريقة بديعة، وضمَّن أشعاره بعض مصطلحات العلوم والثقافة الدينية؛ لِتخرج فرائدهُ غنية وقوية، حاملة الكثير من المعاني والصور، ومن أهم ملامح أبي تمام وخصائصه المديحيَّة أنه يبدع في الموازنة والملاءمة بين المدح والممدوح، لا يخرج عن صفاته اللازمة، كما كان لثقافة أبي تمام دور كبير في شعر المديح، فقد ارتفع شأنه علميًّا وأدبيًّا، وكان أسلوبه جزل الألفاظ، متين التركيب، يتكلف الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية، مولع بالإغراب (الرشيدي، 2021: 68)

إذ يحاكي الشاعر في المدح والرثاء الإنسان باعتباره نموذجا لجنسه أي أن الفارقة بين هذين الغرضين فارق عرضي يكمن في تغير الزمن أو وضع (يكون) موضع (كان) لكن الجوهر واحد، (ابن جعفر،1965: 118)، وإن من يتصفح قصائد المدح في ديوان الشاعر يرى أن له منهجا خاصا في مدح ممدوحيه، حيث لم يقف عند مدح الملامح الجسدية أو النفسية في الممدوح وإنما كان يمدح المثل العليا في الإنسان بصفة عامة ممثلة في جوهر الممدوح فهو يقف منه عند الجانب الروحي والخلقي الذي أشار إليه قدامه بن جعفر من أن صفات المدح هي العقل والشجاعة والعدل والعفة وأن المدح الجيد لا يكون إلا بها وبالصفات النفسية التي هي أمهات الفضائل، (ابن جعفر،1965: 48)، ومن ثم كان أبو تمام يختار ممدوحيه اختيارًا حسنًا، فكان منهم الخليفة والوزير والقائد والكاتب والشاعر، وكانت مشاعره وأحاسيسه نحوهم صادقة لأنه يمدح فيهم المثل العليا ويبدي فيهم جوهر الإنسان وفضائله الكريمة.

ولنتأمل هذه الصورة التي تمثل الجود والكرم قبل أن تمثل الممدوح (إسحاق بن إبراهيم المصعبي)، (التبريزي،1994: 1/ 54):

إذا المكارم عقت واستخفف بها... أضحى السدي والندي أماله و أبا

يقول الشاعر إن الناس إذا لم يحفلوا بمكارم الأخلاق –كالجود والكرم- ولم يبروها فرفضوها واستخفوا بشأنها فإن الممدوح يبرها ويحرص عليها كما يبر الرجل أمه وأباه، وقوله (أضحى) هو زمن الفصل بين عقوق الآخرين واستخفافهم بمكارم الأخلاق وبين تمسكه ببرها والتمسك بأمرها. ويمتدح أبو تمام الكرم في (الحسن بن وهب) فيقول، (التبريزي،1994: 1/ 86):

فلأعرضن عن الخطوب وجورها... ولأصفحن عن الزمان المذنب

ومن الصفات التي ركز عليها أبو تمام في ممدوحة (القوة والصلابة)، وقد وضحها من خلال حديثه عن أحداث الزمان وملماته وخطوب الدهر ونوازله بالناس، وكيف أن الممدوح حبيش بن المعافى قاضي نصيبين ورأس العين أذهبها عن الناس فلم تصب أحدا، وأصلح ما أفسده الدهر من أحوالهم، ووضح لهم حقائق الأمور وأبعد عنهم لبسها، وقد كان للزمن ومفرداته (الدهر والفجر) أثر في بيان القوة وصلابة ممدوحة.

وفي مدح (الحسن بن وهب) يقول أيضًا (التبريزي، 1994: 1/108):

الحسن بن وهب...كالغيث في انسكابه

إذ يعد تشبيه الممدوح بالغيث دليلًا على جوده وكرمه، فنجد كلمة (انسكابه) تدل على كثرة العطاء والسَّخاء الذي يصبه الممدوح صبًّا على كل من يحتاج إليه، كما أنَّ تشبيه الممدوح بالغيث يعتبر من الصُّور الشعرية القديمة التي استعملها الشعراء قديمًا في قصائدهم.

ومن الصفات التي عرض لها أبو تمام في قصيدة المدح (البسالة والشجاعة) يصف بهما رجالا منسوبين إلى يوسف الثغري في يوم الروع أي زمن الفزع

والخوف فيشير إلى أن من رأي إقدامهم وجراءتهم ظنهم هوجا أي يمضون في أمورهم بغير روية ولا أناة، ولكنها البسالة النادرة والشجاعة التي تفوق الحد فيقول، (التبريزي،1994: 1/ 189):

ويوسفيين يوم الروع تحسبهم... هوجا وما عرفوا أفنا ولا هوجا

كما نجده يمدح (مالك بن طوق التغلبي) فيما يتعلّق بحكمته وذكائه التي جعلت منه سيّدا في قومه، يقول (التبريزي. 1994: 1/87):

ليس الغبي بسيد في قومه...لكن سيد قومه المتغابي

ومما سبق يتضح لنا أن أبا تمام قد اختار ممدوحيه اختيارا حسنا حتى لا تكون مشاعره مزيفة وأحاسيسه كاذبة، وأنه لم يقصد بمدحه لهم الوصف الجسدي والنفسي، وإنما قصد مدح المثل العليا التي كانوا يتحلون بها، هذا بالإضافة إلى أنه وقف بنا من خلال مدحه على شخصيته الشاعرة وشخصية عصره، ولم تكن قصائده كلها خالصة للمدح بل تخللت بعضها موضوعات أخرى من شعره كالغزل والحكمة والوقوف على الأطلال.

للمقارنة بين بشار بن برد وأبو تمام في غرض المديح، يجب أن ننظر إلى أسلوب كتابتهما ومحتوى قصائدهما. يمكن أن تكون الشواهد النصية الموجودة في دواوينهما مفتاحًا هامًا لتحليل هذه المقارنة. سنستعرض بعض النقاط المميزة في غرض المديح لدى الشاعرين مع ذكر بعض الشواهد:

أسلوب الشاعرين في المديح:

(بشار بن برد): يتميز بشار بأسلوبه الراقي واستخدامه للمجاز والتشبيه في قصائده. يعبر عن الأمجاد والفضائل للشخصية التي يمدحها بأسلوب جذاب ومشوق.

(أبو تمام): يتميز أبو تمام بأسلوبه السلس والبسيط، حيث يعبر عن المديح بأسلوب مباشر وواضح. يستخدم العبارات البسيطة والكلمات القوية لإبراز فضائل الشخص الذي يمدحه.

محتوى قصائدهما في المديح:

(بشار بن برد): يركز بشار على تمجيد الشخصية وإبراز فضائلها في مجالات متعددة، مثل الشجاعة والحكمة والجود والكرم. يستخدم الأمثال والقصص لتوضيح هذه الفضائل.

(أبو تمام): يركز أبو تمام على تصوير الشخص الممدوح بأسلوب يعكس عظمته ومكانته. يستخدم الوصف الدقيق للخصائص الجمالية والفضائل النبيلة للشخص الممدوح.

بعض الشواهد من قصائد المديح لبشار بن برد:

"قصيدة المديح للخليفة المأمون": تمجيد الخليفة المأمون وفضح أمجاده في الحكم والعدل والعلم.

بعض الشواهد من قصائد المديح لأبو تمام:

"قصيدة المديح للخليفة الواثق بالله": تصوير فضائل وحكمة الخليفة الواثق بالله وإشادته بإنجازاته في الحكم والفتوحات.

المبحث الثالث: الرثاء

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الرثاء عند بشار بن برد.

المطلب الثاني: الرثاء عند أبي تمام.

تمهيد: ظهر الرثاء في العصر العباسي كأبرز أنواع الأغراض الشعرية التي استخدمها الشعراء في كتابة قصائدهم حيث كان له منزلة سامية في النفس، وأبدع الشعراء في غرض الرثاء وقالوا فيه أصدق الشعر في معانيه وأكثره تأثيراً، ولعل أبا تمام وبشار بن برد وغيرهما كانوا من أبرز رواد هذا الغرض الشعري.

المطلب الأول: الرثاء عند بشار بن برد:

يُعَدُّ الرثاء من أبرز أشكال الشعر التي امتاز بها بشار بن برد. فكان يتميز بأسلوبه الفريد وعبقريته الشعرية في صياغة الرثاء، مما جعله واحدًا من أعظم شعراء الرثاء في تلك الفترة.

وتعتبر مقامات الحزن والألم والشجن من أبرز ملامح رثاء بشار بن برد. ينتقل في قصائده بين المشاعر المتعاقبة للحزن والأسى، مع استخدامه لأساليب موسيقية في الأداء الشعري لزيادة القوة التعبيرية للرثاء.

بشار بن برد يعد أحد أعمدة الشعر الرثائي في العصر العباسي الأول، وقد ترك إرثًا شعريًا رائعًا يعكس براعته ومهارته في صياغة الحزن والرثاء بأسلوب فريد وعميق.

كان للرثاء نصيب من شعر بشّار بن برد، فعندما نسمعه يرثي أحدًا نكاد نبكي معه لشّدة رصانته للأبيات وقوّة حبكه لأساليبه، ولعلّ من أشهر الحوادث الّتي ساقته إلى الكتابة في هذا الغرض هو موت ابنه محمّد الّذي جزع عليه، فقال له من يُواسيه: أجر قدمته وفرط افترطته، فقال: ولد دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته فانتظرته، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفراح للزيادة، وقال، (أحمد ،2006: 42):

أَجارَتَنا لا تَجزَعي وَ أَنيبي... أَتاني مِنَ المَوتِ المُطِلِّ نَصيبي

كَأَنّي غَريبٌ بَعدَ مَوتِ مُحَمَّدٍ... وَما المَوتُ فينا بَعدَهُ بِغَريبِ

صَبَرتُ عَلى خَيرِ الفُتُوَّ رُزِئتُهُ... وَلَو لا اِتِّقاءُ اللَهِ طالَ نَحيبي

المطلب الثاني: الرثاء عند أبي تمام:

يُعَدُّ الرثاء عند أبي تمام من أبرز الأغراض الشعرية التي امتاز بها في العصر العباسي الأول. كان أبي تمام من الشعراء الماهرين في صياغة الرثاء، وكان يتميز بأسلوبه الشاعري الراقي واستخدامه المتقن للغة والصور البديعة.

يتجلى في رثاء أبي تمام استخدامه لأساليب شعرية متنوعة، مثل التشبيه والاستعارة والاستنباط، لتعزيز المشاعر وإيصال رسالته الحزينة بطريقة قوية ومؤثرة. يعتبر أبي تمام واحدًا من أعظم شعراء الرثاء في العصر العباسي الأول، حيث نجح في إبراز جمالية الحزن وإحياء ذكرى المفقود بأسلوبه الفذ وكلماته المؤثرة.

والحق إن الشاعر كان على صلة وثيقة بالموت، حيث إنه كان يعاني من مرض الكلي معاناة شديدة ينتظر بسببه الموت بين لحظة وأخرى، وقد تنبأ بموته الخاطف أناس كثيرون منهم إسحاق الموصلي، والكندي الذي قال عنه: هذا رجل يموت قبل حينه لأنه حمل على كيانه بالفكر، وقيل إن الدم ظهر في عينيه من شدة التفكير في الموت ومن ثم تنبأ الناس بموته، (المرزباني: 407).

ولما كان الشاعر ذا صلة وثيقة بالموت فقد رأي فيه أنه الجانب الآخر للحياة، وأنه ليس مرحلة تأتي بعد مرحلة الحياة لأنه كامن في الحياة وموجود بداخلها، ومن ثم لم ينظر إلى الموت نظرة الجزع الذي يوقف الإنسان عن حركته في الحياة ويغير من طرقه ودروبه فيها، وإنما ينظر إليه على أنه خلاص للإنسان من آلامه، على الرغم مما ينزله الموت بالإنسان حيث يخلف لديه الحزن والأسى والمأساة التي تنزل به من ورائه.

ومن ثم كثرت ألفاظه التي تدور حول على الموت والحزن والجرح والندب والبكاء والنكبات ومن شواهده الشعرية في ذلك قوله يرثي خالد بن يزيد الشيباني، (التبريزي،1975: 4/ 9):

ألا أيها الموت فجعتنا... بماء الحياة وماء الحياء

فهو يتألم لفقد من كان الناس يقيمون حياتهم به، ومن كان يعطي الناس بلا سؤال، فيصون وجوههم عن الطلب بسبقه وعطاياه.

ويذكر الدهر والموت وأنه غالب فيقول في رثاء غالب بن السعدي، (التبريزي، 1975: 4/ 40):

هو الدهر لا يشوي وهن المصائب... وأكثر آمال الرجال كواذب

فيا غالب لا غالب لرزية... بل الموت لا شك الذي هو غالب

ويذكر أبو تمام الحنين إلى الموت في رثائه لقحطبة، فيقول، (التبريزي، 1975: 4/ 140):

حن إلى الموت حتى ظن جاهلة... بأنه حن مشتاقا إلى وطن

رأي المنايا حبالات النفوس فلم... يسكن سوى الميتة العليا إلى سكن

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا... لمات إذا لم يمت من شدة الحزن

فيشير أبو تمام إلى أن قحطبة كان يكره أن يموت حتف أنفه وعلى فراشه، فلو لم يمت في المعركة والرماح تتناوله لمات من شدة حزنه أنه لم يمت كذلك، لأن الموت على هذا الوجه يعد فخراً.

وتشغل قضية الموت مساحة كبيرة في ديوانه، وأهم ما يوجب الوقوف عنده في تلك المساحة هو كثرة الموتى في أسرته، فقد رثي زوجه، ورثي ابنا له يسمي محمد ورثي جارية له وله رثاء في أخ له، وهذا يشير إلى أن أسرته كانت معطوبة ومكلومة، وكان يوجد فيها نوع من الضعف يسرع بها إلى الموت.

ومما سبق يتضح لنا أن الشاعر أكثر من ذكر الزمن ومفرداته في قصائد الرثاء، وكثرت فيه بعض الألفاظ وقلت بعض المفردات الأخرى، فكثر لفظ اليوم والأيام والدهر والزمان، وقل لفظ الفتى والفتاء والعام والليل والشمس والمصيف والشتاء، وهذا إن دل فإنما يدل على حسن استخدام الشاعر لألفاظه ومفرداته ووضعها في مواضعها المناسبة.

فكان الرثاء من السمات المميزة لأدب الشاعرين، وتأثرا كلاهما بالموت بالغ التأثر، إلا أن في أسلوبهما مفارقات، أما غرض الغزل وموازنته بين كل منهما فيأتي في المبحث الآتي:

المبحث الرابع: الغزل

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الغزل عند بشار بن برد.

المطلب الثاني: الغزل عند أبي تمام.

تمهيد: لقد شاع انتشار الغزل في العصر العباسي وظهر في قصائد شعراء الأدب العباسي ولعل الغزل المادي والعذري كان قد انتشر في العصر العباسي الأول، وهناك من الأنواع الغزلية التي انتشرت أيضاً الغزل الحضري والغزل الرقيق والغزل المادي ومن أبرز رواد الغزل ذاك العصر أبو تمام وبشار بن برد وغيرهما.

انتشرت ظاهرة الغزل بشكل واسع في العصر العباسي، حيث تجلى ذلك في قصائد شعراء الأدب العباسي. ومن المعروف أن الغزل المادي والعذري كانا من الأنماط الغزلية المتفشية في العصر العباسي الأول. بالإضافة إلى ذلك، انتشرت أيضًا أنواع أخرى من الغزل، مثل الغزل الحضري والغزل الرقيق والغزل المادي.

كان لشعراء ذلك العصر دورًا بارزًا في رواج الغزل، ومن بينهم أبو تمام وبشار بن برد وغيرهما. تميز هؤلاء الشعراء بمهارتهم في صياغة قصائدهم بأسلوب غزلي جذاب ومؤثر، حيث استخدموا الصور الرومانسية والتعابير العاطفية للتعبير عن الحب والغرام. وقد أسهمت قصائدهم الغزلية في إثراء الأدب العباسي وجذب اهتمام الجمهور.

بهذا الشكل، تعكس الأعمال الغزلية في العصر العباسي التنوع والغنى الذي احتواه ذلك العصر الثقافي، وأسهمت في إثراء المشهد الأدبي بتجارب وأساليب متنوعة في فن الغزل.

المطلب الأول: الغزل عند بشار بن برد:

اشتهر بشار بالتفنن في الغزل، ونراه أحيانًا يقترب من القدماء في نظمه لشعره الغزلي، وأكثر ما قاله في الغزل كان ضمن العصر الأموي، ونجد أنّ أبياته الغزليّة فيها طابع عصره الأوّل فألفاظه أمويّة وعباراته كذلك، ففي غزله العفيف نجده لينًا ذا قلب رقيق، ينتابه الشّوق ساعة والحنين إلى المحبوبة ساعة أخرى فهو يشكو الغرام وألم الفراق، (الزبير، 2015: 216).

يقول في إحدى قصائده:

أَبيتُ أَرمَدَ ما لَم أَكتَحِل بِكُمُ... وَفي اِكتِحالٍ بِكُم شافٍ مِنَ الرَمَدِ

وَكُلُّ حِبٍّ سَيَستَشفي بِحِبَّتِهِ... ساقَت إِلى الغَيِّ أَو ساقَت إِلى الرَشَدِ

إِنّي وَعَيشِكِ يا عَبّادَ فَاِستَمِعي... لَو أَبتَغي فَوقَ هَذا الحُبِّ لَم أَزِدِ

كَأَنَّ قَلبي إِذا ذِكراكُمُ عَرَضَت... مِن سِحرِ هاروتَ أَو ماروتَ في عُقَدِ

ما هَبَّتِ الريحُ مِن تِلقاءِ أَرضِكُمُ... إِلّا وَجَدتُ لَها بَردًا عَلى الكَبِدِ

يظهر صدق (بشار) في غزله العفيف من خلال هذه الأبيات التي اتسمت بعذوبة الألفاظ، ورقة المعاني، وتصوير سحر الحب وروعته، فشبهه أثره بسحر هاروت وماروت الذي يعد أخطر سحر على الأرض عرفته البشرية. إذ عُرف بشار في غزله العفيف بأنه كان صادقًا مخلصًا وفيًّا فقد قصر حبه على امرأة واحدة هي (عبدة)، وقد ناداها (بشار) في هذه الأبيات باسم (عبّاد)، فقد ظل يذكرها، ويشتكي هجرها، ويحلم بوصالها.

المطلب الثاني: الغزل عند أبي تمام:

الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل، والغزل المعنى نفسه، ولأبي تمام مفهوم خاص عن الحب يختلف عن مفهوم غيره من الشعراء فالحب عنده عاطفة من العواطف التي تقوم عليها الحياة وليس كل الحياة، (ابن جعفر، 1965: 134).

وقد نتج هذا المفهوم لديه من خلال شخصيته الجادة التي لا تقبل على اللهو والمرح لما مر به في حياته منذ صغره، فقد أخذ يجتهد ويكد في طلب العلم والعيش، هذا بالإضافة إلى العصر الذي عاش فيه أبو تمام، فقد كان عصر تعقل وضبط للعواطف ويضاف إلى ذلك أن الحب يتطلب اسقرارا اجتماعيا وتماسكا بين فئات المجتمع المختلفة، وهذا مما لا يتفق وطبيعة الشاعر التي لا تعرف الاستقرار إلا بمقدار، (أبو تمام وقضية التجديد في الشعر: 82)، ومن ثم لم يعط له عناية واهتماما كبيرا في شعره، ولم يتغن بالحسن إلا قليلا، وحظه من صدق اللوعة ضئيل، (مبارك، 1973: 134).

وقد كان غزل أبو تمام غزلًا أقرب إلى التقليد منه إلى التجديد، لا يعبر فيه عن الغرائز الجسدية، بل كان عزلًا طاهرًا تتضح فيه معاني الحب والألفة، والشوق. وفي ديوان أبي تمام باب منفرد للغزل، وهو عبارة عن مقطوعات غزلية لا تتجاوز أطولها الثمانية أبيات، ولا تقل أقصرها عن بيتن، فهو غزل رائع من حيث الألفاظ والأوزان والموسيقى والعاطفة التي تسيطر عليه (الصاعدي، 2008، 76)

ونماذج الشاعر الغزلية التي قيلت في فلك الزمن ومفرداته –كاليوم والأيام والعام والأعوام والليلة والليالي، والشمس والشباب- لا تعدو أن تكون حديثا عن الأنثى بصفة عامة، فيتحدث عن (زيانب) و(عواتك) لا عن زينب أو عاتكة بعينها، وإن تحدث عن واحدة بعينها جعلها رمزا لجنس المرأة، (بدوي ،1985: 85) فيقول من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، (التبريزي،1975: 2/ 360):

لآلئ كالنجوم الزهر قد لبست... أبشارها صدف الإحصان لا الصدفا

من كل خوردعاها البين فابتكرت... بكرا ولكن غدا هجرانها نصفا

فهذه اللآلي قد لبسن صدف عفة، أي عفائهن يحصنها كما يحصن الصدف الدر، ولقد دعاها البين فأجابت وفارقتنا وهي حديث السن، ولكن هجرانها قديم، أي إن وصلها عمره قصير وهجرانها عمره طويل. والإنسان الغزل هو الذي يكشف عن الشمائل الحلوة والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاج المستغرب، (عصفور، 1995: 122).

ومن نماذج الشاعر التي تحتوي على المشاعر الصادقة والأحاسيس المتدفقة بالحب الصادق، قوله من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق، وقد ضمنه بعض مفردات الزمان (ليلتنا، ليلة، شمس)، (التبريزي،1975: 1/ 94- 96).

وأغن من دعج الظباء مربب... بدلن منه أغن غير مربب

لله ليلتنا وكانت ليلة... ذخرت لنا بين اللوى فالشريب

قالت وقد أعلقت كفي كفها... حلا وما كل الحلال بطيب

ويشير الدكتور عبده بدوي إلى أن أبا تمام كان يحكم عقله تحكيما شديدا في عاطفته بحيث يخرجها من البشاشة والبراءة والعفوية إلى عالم الترتيب والتقسيم والتساؤل والتلاعب بالكلام مما يفقد التجربة الكثير من حرارتها وظلالها، (أبو تمام وقضية التجديد في الشعر: 90)، كقوله من قصيدة يمدح المأمون وقد استعان ببعض مفردات الزمن مثل (الزمان، وأعوام، وأيام، والسنون، والإظلام)، (التبريزي، 1975: 3/ 151- 152).

ومما تقدم يتضح لنا أن أبياته التي قالها في الغزل واستعان فيها بالزمن ومفرداته لم تكن –في أغلبها- ريانة الحب، ولم يستطع أن يسبح في بحر هذا الفن الشعري أو يترنم به كما كان يترنم به أمثاله من الشعراء من معاصريه، ولم يتحدث عن امرأة بعينها، بل كان حديثه عن جنس المرأة، ومن ثم لم نجد لديه لهفة عارمة أو حنينا جارفا أو مشاعر فياضة أو عاطفة متقدة.

وقد توغل الغزل في أدب كل الشعراء تقريبًا، ولا سيما الشاعرين محل الدراسة، أما غرض الهجاء فتأتي مناقشته في المبحث الآتي والأخير:

المبحث الخامس: الهجاء

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الهجاء عند بشار بن برد.

المطلب الثاني: الهجاء عند أبي تمام.

تمهيد: لقد ساهم التغير في مظاهر الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في العصر العباسي في تطوير فن الهجاء، حيث زاد عدد الشعراء الذين يمارسونه وانتشر استخدامه بشكل واسع. ظهرت موضوعات جديدة في فن الهجاء، في حين انحسرت موضوعات أخرى. ومن بين التغيرات التي حدثت كان تراجع العصبيات القبلية، مما أدى إلى انحسار الهجاء الجماعي وبروز الهجاء الفردي. كما أثر تطور المعاني على زيادة الاستخدام المبالغ فيه للتقريع واستخدام الألفاظ المشينة.

وأصبح شعر الهجاء واحدًا من أغراض الشعر المهمة التي تناولها الشعراء والأدباء في العصر العباسي الأول. تعكس هذه التغيرات التطورات الجذرية في المجتمع العباسي وتأثيرها على الأدب والشعر. استخدام الهجاء كأداة للتعبير والانتقاد ازداد في ذلك الوقت، وتحول إلى وسيلة للتعبير عن الرأي الفردي والانتقاد اللاذع.

بهذه الطريقة، يمكن القول إن تغيرات الحياة العباسية ساهمت في تطور فن الهجاء وتغيره، مما أضفى على الشعر الهجائي طابعًا جديدًا ومتنوعًا في ذلك العصر المثير.

المطلب الأول: الهجاء عن بشار بن برد:

هو من الموضوعات الأولى الّتي نظم فيها بشّار بن برد شعره؛ لاضطرام ناره بين جميع الشّعراء، خاصةً بين علمي الهجاء في ذلك العصر: (جرير والفرزدق)، فكان من الطّبيعيّ أن يجري على لسانه وهو لم يبلغ العاشرة من عمره حتى، فغلب هجاؤه على مدحه، (ضيف،1966، ص: 202).

كان الناس يشكو بشار لأبيه فكان يضربه ضربًا مبرحًا؛ ليُثنيه عن هجائهم ولكنّ بشّار كان يُجيبه: قل لهم: {لَيسَ عَلَى الأَعمى حَرَجٌ}، فعادوا يُرددون شكواهم لبرد ابنه فتلا عليهم الآية فانصرفوا وهم يقولون: فِقه برد أغيظ لنا من شعر بشّار، وقد كان يقول بشّار: هجوت جريرًا فأعرض مني واستصغرني، ولو أجابني لكنت أشعر النّاس، (ضيف،1966: 202).

من أبرز قصائده في الهجاء، قوله في هجاء (عمرو بن العلاء التميمي النحوي) المعروف، إذ يقول:

اِرفُق بِعَمرٍو إِذا حَرَّكتَ نِسبَتَهُ... فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِن قَوارِيرِ

ما زالَ في كيرِ حَدّادٍ يُرَدِّدُهُ...حَتّى بَدا عَرَبِيًّا مُظلِمَ النورِ

نجد في هذه الأبيات أثر النزعة الشعوبية التي قامت ضد العرب، فبشار أراد السخرية من عمرو بن العلاء فنعته بالعربيّ! وقد عيَّره بمهنة أجداده بأنَّه حدَّاد لا يفقه شيئًا في علم النحو، بالإضافة إلى تشبيهه بالقوارير، إهانة له بأنه يشبه النساء ضعفًا وهشاشة، ولا يمت بصلة إلى الرجال.

الهجاء المطلب الثاني: عند أبي تمام:

الهجاء هو محاكاة النقيض أو تقديم الصورة الكريهة التي تلفتنا ضمنا إلى فكرة الإنسان النموذج التي ينطوي عليها المديح والرثاء، (عصفور، 1995: 108)، وكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجي له، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها، (ابن جعفر، 1965: 113).

والهجاء لدى أبي تمام لم يكن –في الغالب- فيه فحش، ولم يكن الشاعر شديد الخصومة مع أنداده إلا مع بعض الشعراء وغيرهم كقران ألمباركي وعياش بن لهيعة ويوسف السراج، وكان هجاؤه يتمثل في لونين: الأول هجاء خالص ويشمل هجاء الروم الذين كانوا يريدون زعزعة الأمة آنذاك، فبغضهم وسخر منهم في قصائد عدة، ويشمل كذلك بعض الشخصيات التي حاولت هدم الدولة والخروج عليها من الداخل كالأفشين الذي هجاه أبو تمام هجاء شديدا بعد أن كان قد مدحه من قبل.

واللون الثاني من الهجاء هجاء غير خالص وهو الذي جمع فيه الشاعر بين الهجاء وبعض الأغراض الشعرية الأخرى كالجمع بين المدح والهجاء، والمدح والعتاب.

ومن نماذج الهجاء لدى الشاعر قوله في هجاء الروم وقد ضمنه لفظ (أيامك، وأيام)، (التبريزي، 1/ 73):

فبين أيامك اللاتي نصرت بها... وبين أيام بدر أقرب النسب

أبقت بني صفر المراض كأسهم... صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

فالشاعر يتحدث عن بني الأصفر وهم الروم من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم، يقال: إنما يقال لملوك الروم بنو الأصفر لأن حبشيا كان غلب على بلادهم فنكح فيهم فولد له أولاد يخالط بياضهم صفرة من سواد، فازدادوا بذلك حسنا، ووصفهم الشاعر بقوله (المراض) ليدل على صفرتهم كانت من مرض لا من خلقة، فهم كثيرو المرض، واستعان الشاعر بمفردتي الزمن (أيامك، وأيام بدر) ليدلل من خلالهما قرب النسب بين أيام المعتصم وبين أيام بدر.

ومن هجائه الفاحش (لمقران المباركي)، وقد استعان بمفردتي الزَّمن (الأيَّام وفتي) قوله، (التبريزي : 4/ 310):

أما والذي غشي المبارك خزية... يغني على الأيام ركب بها ركبا

لقد ظل مقران يحك بعرضه... قوافي شعر لو تديرها جربا

إذا ما عصمت من رامها وسمالها... أطاعت فتي عضبا يسوس حجا عضبا

وهكذا نرى أن الشاعر قد نوع في نماذج الهجاء، فلم تكن نماذجه خالصة الهجاء، وإنما جمع بين الهجاء والمدح، وبين الهجاء والعتاب في نماذج أخرى، ولم يقتصر في هجائه على الخارجين على الأمة والروم، وإنما هجا بعض الشعراء كيوسف المصري، وبعض الممدوحين كعياش وذلك في إطار الزمن ومفرداته التي ناسب بينها وبين الهجاء.

الخاتمة:

لقد اختلفت الأغراض الشِّعريَّة في العصر العباسيّ تبعًا لازدهار العلوم، وأخذت اللُّغة العربيَّة نصيب الأسد من هذا الازدهار، وانفتح المجتمع العباسيّ انفتاحًا ليس له نظير على العالم؛ بسبب الفتوحات الإسلاميَّة، واختلاط العرب بغيرهم من الأمم، فكان الفرس أكثر الأمم اهتمامًا باللُّغة العربيَّة، وتعلمها، وفهم أسرارها، حتَّى نبغ منهم شعراء مجددون بنهج شعري جديد، وثقافة واسعة، فأطلقوا العنان لأنفسهم في التَّعبير عن مشاعرهم، وعصرهم بكلّ حريَّة نظرًا للحضارة، والرّقي، والازدهار العلميّ، والتَّرف الَّذي كانوا يعيشونه، فكان دافعًا لهم في البحث عن الجديد في موضوعات الشِّعر وأساليبه. وقد ظهرت طبقة من النُّقَّاد اللُّغويون ضد هذا الاتجاه، وطبقة أخرى من النُّقَّاد شجعته ووقفت إلى جانبه.

فتراوحت الأغراض الشعرية بين التقليدية والتجديدية، عند معظم شعراء العصر العباسي عامة، وعند (بشار بن برد، وأبي تمَّام) خاصَّة، فأبدعوا فيها مستعملين أجمل الأساليب الشعرية، وأعذب الألفاظ، وأغرب الصُّور.

النَّتائج:

1. الغرض الشِّعريّ هو الهدف الَّذي يرمي إليه الشَّاعر من خلال قصيدته لغاية ما، ويُعتبر فهم الأغراض الشِّعريَّة أساسيًّا لتقدير واستيعاب الشِّعر؛ لأنَّه يساعد المتلقي في الاقتراب من روح القصيدة ومعناها العميق.
2. الشِّعر صورة عن حياة الإنسان، فالشِّعر قريب من نفسيَّة صاحبه، وهو وسيلة للتَّعبير عمَّا يشغل فكره ويحسّه، وإن كان مصدر رزقه في أحيانًا كثيرة؛ فإنه لم يبخل على نفسه أن يبث فيه أفراحه وأحزانه؛ لذلك تعدَّدت أغراضه وموضوعاته فكان مساحة حرَّة للتَّعبير عما يجول في فكر الشَّاعر.
3. تراوحت الأغراض الشِّعرية في العصر العباسيّ الأوَّل بين التَّقليد والتَّجديد مثل المديح، والهجاء، والوصف، والغزل، والرثاء، والزهد. فقد ارتبط المديح والهجاء غالبًا بالحكام والخلفاء، فكان الشُّعراء يمدحونهم ويمجدونهم أحيانًا، يلجؤون لهجائهم؛ نقدًا لعيوب سياستهم، أحيانًا أخرى. لذلك ارتبط المديح والهجاء بالحياة السِّياسيَّة في ذلك العصر.
4. تناول بشار وأبو تمام الأغراض الشعرية في قصائدهما تناولا متنوعا إذ نجد (المديح والهجاء والغزل والرثاء) فتميز أسلوب بشار في (المديح) بأنه كان أسلوبًا راقيًا، واستعمل المجاز والتشبيه في قصائده. وكان ممجِّدًا للفضائل للشخصية في الممدوح بأسلوب جذاب ومشوق. أما أبو تمام فتميز بأسلوبه في (المديح) بأنَّه كان بسيطًا، وسلسًا، ومباشرًا، وواضحًا. واستعمل العبارات البسيطة، والكلمات القوية لإبراز الممدوح.
5. أمَّا عن الموازنة بين الأغراض الشعريَّة الأخرى (الغزل والهجاء والرثاء) في شعر بشار وأبي تمام فنجد أنَّ كلاهما قد أبداعا في تناولها مستعملين أساليب شعرية متنوعة، فكان هجاء (بشار) لاذعًا، أما (أبو تمام) فلم يكن شديد الخصومة. وكذلك كان الغزل والرثاء تعبيرًا صادقًا عن المشاعر الإنسانية العميقة، عند كليهما.
6. الصنعة الأسلوبية المتقنة: هذه الصنعة أصبحت أساسا في شعرهم حيث أكثروا من استعمال البديع بأنواعه المختلفة من طباق وجناس وسجع ومقابلة وغيرها من فنون البديع.
7. التجديد في المنهج حيث كانت التطورات التي حدثت في هذا العصر دافعًا قويًا لهذا التجديد وكان أول من دعا إليه الشعراء المولدون؛ ومنها نبد المقدمة الطللية التي التزم بها الشعراء القدماء.

المصادروالمراجع:

ابن جعفر، قدامة. (1965). نقد الشعر. محمد عبد المنعم خفاجي (محقق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1423). الشعر والشعراء. القاهرة: دار الحديث.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (1414). لسان العرب. (ط 3). بيروت: دار صادر.

أحمد، الرشيد محمد حاج (2006). البديع في شعر بشار. السودان: جامعة أم درمان.

بدوي، عبده محمد (1985). أبو تمام وقضية التجديد في الشعر. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التبريزي، الخطيب (1975). ديوان أبي تمام. محمد عبده عزام (محقق). مصر: دار المعارف.

التبريزي، الخطيب (1994). ديوان أبي تمام. راجي الأسمر (محقق). (ط 2). لبنان: دار الكتاب العربي.

الحميدي، ناصر (1429). الشعر في كتاب الأوراق للصولي دراسة تحليلية. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى، مكة: السعودية.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1999). مختار الصحاح. يوسف الشيخ محمد (محقق). (ط 5). بيروت: المكتبة العصرية- الدار النموذجية.

الرشيدي، لطيفة (2021). المعاني المدحية عند أبي تمَّام. المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات. المجلد (3). الإصدار (23).

الزبير، مدينة خالد (2015). الشعراء البدو في العصر العباسي الأول. رسالة دكتوراة. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم: السودان.

شاهين، عطية (1987). شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت: لبنان.

الشيباني، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس المعروف بثعلب (1995). قواعد الشعر. رمضان عبد التواب (محقق). (ط 2). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الصاعدي، نادية (2008). مقدمات قصائد أبي تمام. رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الماجستير (في الأدب). جامعة أم القرى. المملكة العربيَّة السعودية.

ضيف، شوقي (1966). العصر العباسي الأول. (ط 8). مصر: دار المعارف.

عصفور، جابر (1995). مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي. (ط 5). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب أبو الطاهر مجد الدين (2005). القاموس المحيط. محمد نعيم العرقسوسي (مشرف على التحقيق). (ط 8). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن (1986). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. محمد الحبيب بن الخوجة (محقق). (ط 3). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

مبارك، زكي (1973). الموازنة بين الشعراء. (ط 3). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

محمد، محمود سالم (2002). بشار بن برد آخر القدماء وأول المحدثين. دمشق: دار سعد الدين.

المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (لا يوجد تاريخ). الموشح. علي محمد البجاوي (محقق). القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

المؤدب، محمد الأمين (2014). في بلاغة النص الشعري القديم معالم وعوالم. (ط 1). القاهرة: دار الرحاب.

Romanization:

Ahmed, A. M. (2006): Badi' in the poetry of Bashar. Sudan: Omdurman University.

Al-Fayrouz-Abadi, M. Y. (2005): Al-Qamus Al-Muhit. Muhammed Na'eem Al-irqsusy (editor chief). (8th edition). Beirut, Lebanon: Al-Resalah Foundation for printing, publishing and distribution.

Al-Hamidi, N. (1429 H): Poetry in the book of Al-Awraq written by Al-Sawli, an analytical study. Master Thesis. Umm Al-Qura University, Mecca: Saudi Arabia.

Al-Marzbani, M. I. (n.d.): Al-Muwashshah. Ali Muhammed Al-Bajawi (editor). Cairo: Nahdet Misr Publishing House.

Al-Mu'addib, M. A. (2014):Milestones and worlds in the eloquence of the ancient poetic text. (1st edition). Cairo: Dar Ar-Rehab.

Al-qirtagni, H. M. (1986): Minhaj Al-bulagha and Siraj Al-audaba. Muhammed Al-Habib (editor). (3rd edition). Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Razi, M. A. (1999): Mukhtar Al-Sihah. Youssef Al-Shaykh Muhammed (editor). (5th edition). Beirut, Al-Maktaba Al-Asrya.

Al-Shaibani, A. Y. (1995): Poetry rules. Ramadan Abd-Al-Tawwab (editor). (2nd edition). Cairo: Al-Khanji Library.

Al-Tabrizi, A. (1975): Diwan Abi Tammam. Muhammed Abdou Azzam (editor). Egypt: Dar al-Ma'arif.

Al-Tabrizi, A. (1994): Diwan Abi Tammam. Raji Al-Asmar (editor). (2nd edition), Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Asfour, J. (1995): The concept of poetry; a study in the critical heritage. (5th edition). Egypt: General Egyptian Book Authority.

Az-Zubayr, M. K. (2015): Bedouin poets in the first Abbasid era. Doctoral Dissertation. Sudan University of Science and Technology, Khartoum: Sudan.

Badawi, A. M. (1985): Abu Tammam and the issue of renewal in poetry. Egypt: General Egyptian Book Authority.

Deif, S. (1966): The first Abbasid era. (8th edition). Egypt: Dar al-Ma'arif.

Ibn Ja'far, Q. (1965): Poetry criticism. Muahmmed Abd-Al-Moneim Khfaji (editor). Beirut, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Ibn Manzur, M. M. (1414 H): Lisan Al-Arab. (3rd edition). Beirut: Dar Sader.

Ibn Qutayba, A. M. (1423 H): Poetry and Poets. Cairo: Dar Al-Hadith.

Mubarak, Z. (1973): Comparison between poets. (3rd edition). Mustafa Al-Babi Al-Halabi and his sons printing house.

.1